

فضاء الرحلة في المعلقة العشر Flight space in the ten pendants

ط / الزهرة تيلي

إشراف: أ.د حفيظة رواينية

قسم اللغة العربية و آدابها-جامعة باجي مختار-عنابة .الجزائر

Zohratilbi23@yahoo.com

تاريخ القبول: 2019/02/02

تاريخ الإيداع: 2018/08/07

الملخص:

تعتبر الرحلة نمطا معيشيا فرضته حياة التبدّي على قاطني صحراء شبه الجزيرة العربية، ونظرا للارتباط الوثيق بين الشعر وطبيعة الحياة، وبحكم كونه صدّي لتجارها، فقد انتقل هذا النمط إلى بنية صغرى في فضاء القصيدة العربية القديمة. وفي هذا الإطار يتنزل موضوعنا، الموسوم بـ: " فضاء الرحلة في المعلقة العشر"، والذي نهدف من خلاله إلى الوقوف على خصوصية النص الرحلي، وقراءته قراءة جديدة.

الكلمات المفتاحية: الفضاء؛ الرحلة؛ المعلقة العشر.

ABSTRACT:

Travel is a way of life that has been imposed by the nomadic life practiced by the Arabs in the arab peninsula, because of the close relations hip between poetry and the nature of life. The echo of these experiences. This way has become micro structure in the space of the ancient Arabic poem. And in this context, we chose a topic entitled: "trip space in the ten pandants", in order to know the specificity of the text of the trip, and to present a new reading.

Keywords : Space; the journey ; The Ten Mu'allaqāt.

1- تمهيد:

فرضت طبيعة الصحراء على ساكنيها التغيير المستمر لمواضع إقامتهم، تحت تأثير جملة من العوامل الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية، فكانت الرحلة بمثابة النسق الذي واجه الإنسان الجاهلي من خلاله ثورة الصحراء وغضبها، بل حدثا وجوديا، مصيريا؛ كونه يرسم هندسة جديدة للفضاء الذي ينتقل إليه المرتحلون، بكل ما لهذا الفضاء من متعلقات نفسية واجتماعية...؛ لأنهم بموجبها - الرحلة - سوف يفارقون بيوتهم التي أَلْفُوها، مع ما للبيت من أهمية في حياة الناس؛ ف " البيت هو ركننا في العالم، إنه كما قيل مرارا، كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى " (1) إنه كذلك رمز للاستقرار والسكينة والأمن.

وبحكم أن الشعرا بن بيته، فإن الحديث عن القصيدة الجاهلية، المعلقة تحديدا، هو، بالدرجة الأولى، حديث عن الفضاء الذي ولدت فيه والتربة التي أنشأتها، والجزيرة العربية هي " مهد الشعر الجاهلي، أرض جرداء في معظمها، خصبة حيناً ومجدبة أحيانا، تتناول في صحارى من الرمال والحجارة، لا سهول زراعية فيها، ولا أنهار تسقي السهول " (2) فتبعث فيها الحياة وتحفظ رمق الجاهلي، فتجنبه الهلاك، حينها لا يبقى أمامه، والحال تلك، إلا زَمَ ركابه، لاستبدال فضائه المَوَات بفضاء آخر.

وهكذا تتأثى الرحلة في حياة الفرد العربي، " لإظهار طموحاته في التغلب على سلبية المكان " (3)، و تدفع تلك العوامل الإنسان الصحراوي إلى التماس كل السبل الممكنة هروبا من صور الجذب التي " تشحذ همته للبحث عن أنساق يواجه بها ثورة المكان " (4) ومن شأن تلك الأنساق أن " تحول الفضاء من صورة جامدة إلى صورة حيّة حركية " (5) يجسدها الشعر الجاهلي عامة والقصائد المعلقة خاصة؛ حيث تنزل الرحلة باعتبارها تجربة جمالية متخيّلة، وصورة نرصدها على مستوى الفضاء الشعري، تُعْضِدُها تجربة حياتية، واقعية، مرجعية.

2- ماهية الرحلة:

الرحلة هي الانتقال والتحوّل من مكان إلى آخر، بحثا عن نسق حياتي أفضل وأرقى. ورد ذكرها في القرآن الكريم في مواضع عديدة منها:

قوله تعالى: ﴿لِيَأْتِيَنَّكُمْ رِجَالٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (6)

وقوله جلّ جلاله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (7)

وقوله أيضا: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (8)

واضح من الآيات الكريمات أعلاه؛ أن العرب عرفوا الرحلة منذ القديم " حيث ساح المكثون في الولايات البنظية كما اشتهروا برحلتين اثنتين هما رحلة الشتاء ورحلة الصيف ". (9)، وفيها أيضا دعوة إلى الانتقال في دروب الأرض الفسيحة للتأمل والاعتبار بما حدث للأمم السابقة وطلب الرزق، وقد عُبِّرَ عنها بألفاظ عديدة منها: السير والمشي... الخ، وجاء في لسان العرب ما يلي: " يقال: رَحَلَ الرَّجُلُ إِذَا سَارَ... وَرَجُلٌ رَحُولٌ وَقَوْمٌ رَحَلٌ أَي يَرْتَحِلُونَ كَثِيرًا، وَابِلٌ مُرَحَلَةٌ عَلَيْهِ رَحَالُهَا... وَنَاقَةٌ رَحِيلَةٌ أَي شَدِيدَةٌ عَلَى السَّيْرِ... ثُمَّ جَرَى فِي الْمَنْطِقِ حَتَّى قِيلَ: ارْتَحَلَ الْقَوْمُ عَنِ الْمَكَانِ ارْتِحَالًا، وَرَحَلَ عَنِ الْمَكَانِ يَرَحُلُ وَهُوَ رَاحِلٌ مِنْ قَوْمٍ رُحُلٌ... وَنَقَلَ... وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الرَّحْلَةُ وَالْارْتِحَالُ وَالرُّحْلَةُ، بِالضَّمِّ، الْوَجْهَ الَّذِي تَأْخُذُ فِيهِ وَتُرِيدُهُ ". (10)، كما ورد في المعجم الوسيط: " رَحَلَ مِنَ الْمَكَانِ، رَحَلًا، وَرَجِيلًا، وَرَحَالًا، الرَّحَالُ: الْعَرَبُ الرُّحُلُ الَّذِينَ لَا يَسْتَقِرُّونَ فِي مَكَانٍ، وَيَحْلُونَ بِمَاشِيَتِهِمْ حَيْثُ يَسْقُطُ الْغَيْثُ وَيَنْبِتُ الْمَرْعى ". (11)

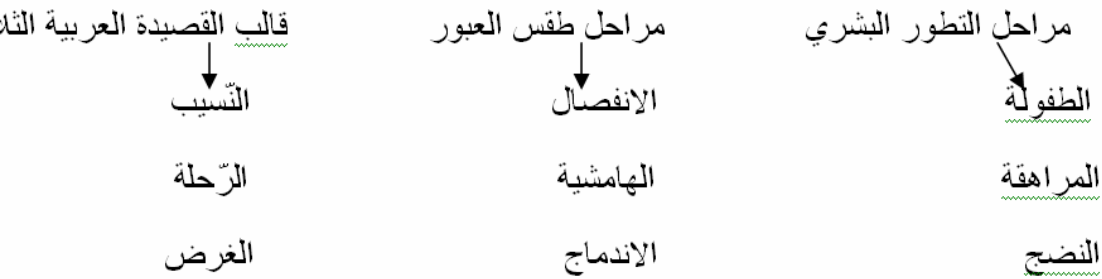
وبذلك تكون الرحلة في معناها المعجمي: الانتقال من مكان إلى آخر أفضل منه من نواحي مخصوصة. والرحلة أو الهجرة أنواع؛ فقد " صُفِّتِ الهجرة إلى هجرات جماعية، وأخرى فردية، وهجرة إلى العالم السفلي، ومعارج الأنبياء والأولياء والصالحين ". (12)، وعلى تعدد ألوانها فإننا سنخص بحدیثنا الرحلة باعتبارها نسقا نصيا ومشهدا شعريا، متخيلا، نواته الظعن الجماعي. أما معناها اصطلاحا فهي: " انتقال العشيرة أو القبيلة برمتها من مكان إلى آخر لأحد هدفين: الانسجام أو الغزو " (13) اللذان يشكلان بنية المجتمع الجاهلي.

وأيا كانت دوافعها، يظهر أن الرحلة " مشروع وجودي / قبلي، يسير باتجاه المقاومة والتحدّي " (14) مقاومة مظاهر القحط خوفا من الدخول في دائرة العدم والتلاشي والغياب. وهي أيضا " سلوك إنساني حضاري " (15) وصيغة من صيغ عديدة تكيف بوساطتها الإنسان مع فضائه، وطبيعة بيئته؛ حيث كان " المناخ وطبيعة الأرض التي يقطنها الإنسان من أهم العوامل الموجبة للفعل الثقافي " (16) الذي يتمظهر على مستويات مختلفة؛ منها الفكري والاجتماعي، و هذا الأخير يتجسد في صور عديدة منها الرحلة.

وقد " خلق الله الإنسان محبا للحركة والتنقل وأمدّه بالعقل الذي يدعوه لذلك والجسم القوي الذي يعينه على الانتقال من موضع لآخر، بحثا عن طعامه وشرابه، وهربا من القوى المعادية " (17) مما يَعوِّقه عن التكيف مع بيئته، والاستمرار في مزاولة أنشطته الوجودية المختلفة فيها.

مما سبق، يمكن إجمال أسباب الرحلة في الجدال القائم بين الإنسان والطبيعة؛ فهو من زاوية يحاول التدخل فيها وتكييفها وحاجياتها، ومن زاوية أخرى، يقف عاجزا أمام محدودية قدراته وعناد الطبيعة الصحراوية. وبرغم هذا التضاد يجب أن ندرك أن " تنقل العربي في صحرائه ليس تيهًا لا معنى له، وإنما هو انتقال مرهون بشروط وأوقات، تدفع إليه الحاجة

"(18) وبذلك فهي محكومة بفضاء زمكاني، وأسباب ودوافع؛ منها طلب الماء والكلأ، والرغبة في التغيير والتجديد، لأن العربي قد "يسافر للسفر، ليتجدد شخصا ونفسا... فالسفر يقتل الإحساس بالفراغ ويُنزِن الوقت بأشد الموازين دقة وإحساسا"(19) والسفر بهذا المعنى نوع من التطور والنمو والنضج، في حياة الفرد والجماعة النفسية والاجتماعية والاقتصادية. ويتوافق هذا مع الطرح الذي أشارت إليه الباحثة "سوزان ستيكفييتش" في إطار حديثها عن طقس العبور؛ إذ "أُلحِت من خلال تطبيقها لنظرية (فان جيب) في كتابه: "طقس العبور" إلى النموذج الثلاثي لطقس العبور وقالب القصيدة العربية الثلاثي (النسيب والرحلة والغرض) مشيرة إلى أن هذين القالبين يعكسان نموذجا نفسانيا وبيولوجيا لتطور الإنسان النفسي-الاجتماعي."(20) ويشمل طقس العبور، حسب الباحثة، مراحل ثلاث هي: الانفصال والهامشية والاندماج. والخطاطة التالية توضح ذلك:



نفهم مما سبق أن الباحثة تقارب بين القالب الثلاثي للقصيدة العربية الذي يجمع النسيب وهو أول ما يفتح به الشاعر باب القول، والرحلة وتقابلها من مراحل طقس العبور مرحلة الهامشية؛ حيث يكون الشاعر في طريقه إلى الممدوح، مثلا، وما يلقاه من الصعاب في سبيل الوصول إليه، والغرض الأساس في القصيدة؛ سواء كان مدحا أو غيره، وهو يمثل إعادة الاندماج في المجتمع (الوصول إلى الممدوح). وبين "المراحل الثلاث في التطور البشري، الطفولة والمراهقة والنضج، والتي بدورها ترتبط بالأرض وحياة القبيلة فوق هذه الأرض وبنية التنقل والاستقرار التي تحكم حياتها، فهي السرّ في التحالف والتحارب والتظعان والاستقرار"(21)

3- الرحلة بين النسق المرجعي والتخيّل الشعري:

حينما يحلّ الجذب والموات بالمكان يصير العربي مقيدا، ويصبح لزاما عليه البحث عن "الاعتناق والتحرّر"(22) وبالتالي البحث عن الحياة، والحياة عند عرب الجاهلية تتمظهر في صور عديدة منها صورة الارتحال؛ والارتحال خاصية إنسانية وعربية قديمة، فرضتها ظروف خاصة

على أهل الصحراء، والرحلة باعتبارها " الانتقال من مكان لآخر، بالاستعانة بجملة من اللوازم: منها الراحلة وغيرها "(23) ليست فعلا عشوائيا، وإنما هي طقس خاص ينتمي للنسق الثقافي العربي، إنها مسيرة لقبائل ومجموعات بشرية، تضرب في الأرض هروبا من شبح الموت الذي أصبح يترصدها في موطنها الأول.

احتفظ المتخيل الشعري بالكثير من تلك المشاهد، على اعتبار أنه " مجموعة من التصورات والتمثيلات المشتركة التي تزود بأنظمة من الدلالات والمعاني يعي مجتمع ما نفسه عبرها، وهي التي تتطابق إلى حد بعيد مع طبيعة انتظام الوحدات الاجتماعية "(24)، وقد نقل الشعر هذا المشهد الذي غدا جزءا من التركيبة الاجتماعية والنفسية لعرب الجاهلية، فكانت " الرحلة ظاهرة فنية لافتة للنظر، تشكل تجربة جمالية وترتبط بالفعل التخيلي الشعري الذي يهيمن على الشعرية الشفوية بشكل عام، كونه يعد امتدادا شعريا في مستوى فضاء القصيدة... حيث تعد الرحلة موضوعا أساسيا يسهم في تشييد فضاء القصيدة وبناء عالمها المتخيل "(25) بالتضافر مع غيرها من الفضاءات التي تشكل عالم القصيدة الجاهلية، وتمت بصلة وثيقة للواقع العربي.

وبذلك تنتقل الرحلة من كونها حدثا مرجعيا ونسقا حياتيا، إلى نسق نصي في فضاء القصيدة الجاهلية، وهذا ما يسميه (يوري لوتمان) " بنظام النمذجة الأولى "(26)؛ الذي يشكل امتدادا للعالم الأول الذي ينطلق منه المبدع في العملية الإبداعية؛ أي الواقع أو الملمه/ العامل المحفز على القول، ولكنه لا يقف عند حدوده وإنما يعمد إلى خرقها وتجاوزها عن طريق خلق عوالم جديدة تماثل الأولى وتختلف عنها في نفس الوقت، عوالم تبنيها اللغة الشعرية، وبالتالي فإن هذا النظام يتأسس على " تحويل العالم إلى أنساق تتأطر داخلها كل تجاربنا وأحلامنا وعلاقتنا بالعالم الخارجي داخل كون لغوي نطلق عليه الفضاء النصي يقيم الأديب من خلاله تجربة خلاقة تعبر عن كيمياء شعرية بين الذات والموضوع، بين معطيات الثقافة الخارجية وبين أنساق الشاعر الخاصة كبدايل لتلك الأنساق المتعارف عليها، فيدل على رؤيته الخاصة للأشياء وموقفه منها، من هنا تبرز أهمية فضاء الرحلة كونه وجود وعلائق وأمكنة يراعي جوانب من حياتنا الداخلية ".(27)

ومن هنا " تبدأ قصة الرحلة كما يصورها هذا الشعر بتحمل القوم، وقد يقترب الشعراء من البداية خطوة أخرى أو خطوتين فيصفون ردّ الجمال من المرعى أو زمّما استعدادا للرحيل، ووقوف الشاعر وحيدا أو في بعض صحبه يرقب هذه الظلّائن "(28) المتحملة عبر دروب فضاء الصحراء.

قال امرؤ القيس: (29)

وُقُوفًا بِهَا صَحِيٍّ عَلَيَّ مَطِيَّهْمُ *** يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ،
وقال أيضا: (30)

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا *** لَدَى سَمَرَاتِ الْعَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلٍ،
وقال طرفة بن العبد: (31)

وُقُوفًا بِهَا صَحِيٍّ عَلَيَّ مَطِيَّهْمُ *** يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ،
وقال الحارث بن حليزة: (32)

لَا أَرَى مَنْ عَهْدْتُ فِيهَا فَأَبْكِي *** الْيَوْمَ ذُلُّهَا وَمَا يُحِيرُ الْبُكَاءُ،

تجسد المقاطع أعلاه ساعة الرحيل، وهي أشد وأقسى موقف يهز الشعور الإنساني، و " ساعة الرحيل هي ساعة الفراق، وقد خبره البدوي لكثرة ما ذاق مرارته، إنها انقطاع لكل ما في الوصل من حلاوة " (33) بظعن الألف وانصرام عهد الألفة " وتبتعد الجمال... فتبتعد فلذة من كبده... وتتكاثر في نفسه غيوم العواطف العنيفة ثم لا تلبث أن تتفجر دموعا تسح كأنما يُجرىها من عينيه نقف الحنظل المر " (34).

والملاحظ أن الرحلات على اختلاف أنواعها تشترك فيما تخلفه من آثار نفسية على المرتجل والمرتل عنه، على السواء، كل رحلة فيها حزن ومرارة ودموع فراق الأهل والصحب والوطن والبيت " وهل هناك أكثر من هذه الخيام المهيأة على الدوام للرحيل وراء موارد الحياة القليلة في هذه البيئة الفقيرة في معظمها؟ التي لا يبقى بعدها إلا الثمام وإلا موقد النار، من تلك الآثار التي يشعل ضمور الحياة المرة فيها جذوة الألم اللاهب في نفس الشاعر " (35)، لما تحدثه في حياته من خلخلة جذرية؛ إذ تنقله من فضاء الألفة والحميمية إلى فضاء الفقد والغياب، ومما تجدر الإشارة إليه أن للعرب تقاليد تسبق عملية الارتحال؛ منها زمّ الجمال من المرعى، وبعث الرئيب* لتفقد الطريق، واختيار موضع جديد للإقامة، وتحضير الهوداج، وبعد ذلك يتم فك أطناب بيوت الشعر استعداداً لبدء المسير.

وكما غلبت الرحلة على حياة العربي فلم يكن يقرُّ له قرار " فهو راحل أو مززع على الرحيل في كثير من الوقت، أو متأمل من يرحل وما يرحل: الطعائن، العمر، القبائل، الأهل، والرفاق، الحياة نفسها " (36) طبعت أيضا الشعر باعتباره " خطابا لغويا ينطلق من وعي الشاعر الدرامي بالحياة الذي يسمح له بأن يفتح مجراه لمختلف أنواع التفاعل والتبادل " (37) فكان بدوره؛ أي الشعر، تاريخا " للرحيل المستمر " وإنه لمن " الطريف أنه كتب على أقطابه أن تكون

حياتهم أو معظمها رحيلا مستمرا أيضا "(38)؛ لأن الشعر هو نتاج تفاعل بين الذات ومحيطها، بين ما يجري في المرجع وما هو كائن على مستوى المتخيل.

قال طرفه بن العبد: (39)

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُـدُوَّةٌ *** خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدٍ

قال زهير بن أبي سلمى: (40)

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظُعَانٍ *** تَحْمَلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثِمِ

قال لبيد بن ربيعة: (41)

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الْعَيِّ جِئَ تَحْمَلُوا *** فَتَكَنَسُوا قُطْنَا تَصِرُ خِيَامَهَا (42)

وقال عنتره بن شداد: (43)

حَلَّتْ بِأَرْضِ الرَّائِرِينَ فَأَصْبَحَتْ *** عَسِرًا عَلَيَّ طِلَابُكِ ابْنَةُ مَخْرَمِ (44)

وقال عمرو بن كلثوم: (45)

قِفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ظُعِينَا *** نُخْرِكَ الْيَقِينَ وَتُخْرِينَا

أشارت الأبيات أعلاه إلى نسق الرحلة؛ وإذا كان طرفه قد توهم الصحراء بحرا، والهوادج سفنا عظاما تتهادى في نواصف واد دَدٍ، فإن ظعائن زهير تياسرت جبل القنان، ومَرَّتْ بالأرض العالية فرارا من خطر الحرب، بينما تقاذفت عبلة وأهلها مجاهل الصحراء، فحلَّتْ بأرض الأعداء، مما صَعَّبَ طلابها على عنتره، أما عمرو بن كلثوم فقد تَعَدَّرَ عليه استحضار المقطع الرحلي في محلّه من المعلقة، لكنّه عاد واستحضره في بيت واحد، اختصر فيه قصّة ظعائنه.

وما يميّز هؤلاء جميعا هو توظيفهم لمعجم خاصّ يحتوي الألفاظ الدالة على الظعن والتحمل؛ من قبيل: الحُدُوج/الظعائن/تحملن/الخيام/حلّت/التفرّق...الخ

وعليه، فالرحلة فضاء نصّي ولبنة أساسية في تشكيل كليّة القصيدة المعلقة، ونسق شعري مرتبط بالفضاء المعيش، يصور معاناة العربي في مفازته، حيث " كانت حياة الناس...مرتبطة بالأرض، وكان هذا الارتباط يحكم حياتهم الاجتماعية ويوجهها إلى حدّ بعيد، ويصبغها بلونه الخاصّ من اللقاء والاجتماع إلى الفرقة والقطيعة، وكان الأدب يصوغ هذه الوقائع...فيرسم أشكالها ويعيّن ملامحها ويحدّد طبيعتها ثم يلونها ويغنمها بلمسة الفنّ الساحرة "(46) في أدواته المختلفة وآلياته المتنوعة ووسائله التي تستهدف أولاً وأخيراً تحقيق شعريته.

لذلك ألفينا الرحلة فضاءً شعرياً يأخذ بعدا وشكلا آخر قوامه الخيال؛ باعتباره " ملكة يحفظ صور الأشياء الخارجية بعد زوالها من أمام الإدراك... فإن هذا الخيال يستعيد لها ولكن ليس بصورة متطابقة ومتماثلة، بل يسمح الغياب باجتلاب عناصر تشكيل جديدة تضيف على الشيء

المستعاد أو صورته صبغة خاصة مغايرة لما كان عليه الشيء من قبل". (47) وهي صورة تبنيها الذاكرة، عن طريق عملية الاسترجاع.

وإذا كان الهدف من الرحلة في المرجع الانتقال من فضاءات التّيه والغياب والخوف والفقد، والتوجه صوب فضاءات أفضل، فإن الرحلة كمقطع نصّي في المعلقات "إطار نصّي لا ينفصل في تأويله عن الفضاء الذي يتقدمه - في الغالب- وهو الطلل...بمعنى أن الرحلة تختزن طاقة شعرية تتراسل سياقيا مع مختلف البناءات داخل النصّ، كونها توجد في فضاء متخيّل، بإمكانه أن يستدعي مختلف التجارب والأحاسيس ويتخطى الواقع والممكن إلى المحتمل". (48) وعليه، فإن الرحلة كما كانت "محور الحياة الطبيعية في الصحراء، فهي محور الشعر المعبر عن هذه الحياة أيضا...وهكذا يتجاوز الرحيل المكان...ليصبح محور هذه القصيدة أو الأساس الذي تبنى عليه أفكارها وموضوعاتها" (49) وتبقى الرحلة في الشعر غير الرحلة في الواقع، على الرغم، من أنّ هذه تتأسس على تلك، الرحلة في الشعر يبنيها الخيال، وللخيال أدواته؛ إذ يقوم ب "إعادة صوغها حيث تصبح وجودا جديدا انتقل من الكمون إلى الحركة ومن القوّة إلى الفعل" (50) على مستوى الفضاء المتخيّل.

صاغ الشعر ذلك الواقع من منطقته الخاص، وأدى شعراء المعلقات المقاطع الرحليّة بطرائق مختلفة. ومن هنا "يتكون النص ويحلّ بيننا متشكلا وفق طرائق لا يطالها الكلام العادي ويقف أمامها قاصرا عاجزا" (51)؛ لأنّ البوّن بينهما شاسع، حيث ينسج الكلام الشعريّ فضاءً تعبيريا صوريا جديدا، يجعل النص غير النص، ويخرج الخطاب غير مخرج العادة، فتتجاوز بذلك اللّغة الفهم إلى التأثير في المتقبّل، وتنتقل من المستوى التواصلّي إلى المستوى الجمالي؛ لأنّ "اللّغة تنتهي باطنيا إلى العالم الذي تشير إليه وتُفصح عنه والعالم ينتسب بدوره إلى اللّغة التي يمثل إسقاطها الفكري، فليس للأشياء من دلالة ولا للكلمات من معنى إلا في نطاق هذا التفاعل" (52) بين اللغة والعالم الذي تحيل إليه وتمثله، وترسم مساره.

4- بنية التنقل في المعلقات العشر:

ورد في ماهية الشعر أنه: "تشكل خطابي مفتوح على أبعاد الوجود، ولا يمكن أن ينسحب أو أن يتراجع عن وظيفته الأنطولوجية، التي بها تولد الطاقة الكامنة في الوجود الكفاءة المضمرة في الفعل". (53) وتحقق تلك الكفاءة بعمل المبدع/ الشاعر "حيث يلعب...في العالم دوره في الخرق الجوهرى لأبنية العالم والكشف عن إضاءات الكينونة" (54)، وذلك باللّجوء إلى الخرق والانزياح والانحراف بنظام اللّغة عمّا هو متواضع عليه. ثمّ يأتي دور القارئ في بناء الدلالة

بتتبع علامات وتيمات معينة يقوم عليها الخطاب عامة، والخطاب الرحلي خاصة، كونه موضوع حديثنا في هذا الباب.

يعدّ المقطع الرحلي نمطا مميزا من الخطابات " ولكلّ خطاب طريقته الخاصة في البناء، بها يتميز عن غيره من الخطابات الأخرى. وبما أن خطاب الرحلة موضوعه هو السفر... فإن هذا الخطاب يتماهى مع الرحلة وعواملها، ويواكبها من البداية إلى النهاية " (55) وهكذا يغدو السفر التيمة التي يتأسس عليها هذا النمط، وقد " كان السفر وما زال إحدى وسائل معرفة الآخر وتحديد الهوية " (56) لأنه يسمح بالتعرّف على الآخر في مجالات عديدة، ويسفر عن خصوصياته.

وبالعودة إلى المعلقات العشر، المدونة موضوع الدراسة، تجد أنك أمام ذوات ترفض السكون، رغم شدّة ارتباطها بالأرض والمكان " ترفض الثبات والمحدودية وتقّدر الفعل والحركة. الجاهليّ عدوّ الوجود الثابت " (57) وطبيعيّ أن يكون كذلك بما أن الإنسان ابن بيئته/ فضاء الصحراء " مكان التغيّر والغياب " (58) والرتابة والتشابه.

فرضت الصحراء سلطتها على العربيّ فهأبها، ولكن يبدو أن البدويّ الجاهلي " أكبر من أن يحصره فضاء معيّن، أو يحدّ من حركته حاجز أو مسافة، لذلك، ظلّ في إطار تفاعله مع عوالم الرحلة، يطوّر معارفه... فوصل تدريجيا إلى تحقيق التمرس والسيطرة على جبروت المكان وترويض عناصره " (59) وبهذا المعنى تصبح الرحلة فعلا أو نسقا ثقافيا؛ لأنّ الجاهليّ تدخّل في فضائه، وواجه ثورته وتبدّله، وخلق أنساق مضادّة لتجاوز العفاء. فكان " السفر أحد أسباب العيش التي بها قوامه وعلّمها نظامه. إن الله لم يجمع منافع الدنيا في مكان واحد من الأرض، بل فرّقها وأحوج بعضها إلى بعض، ومن هنا لزم ذوي الهمم العالية أن يبحثوا عنها في مظانها المختلفة " (60). وأن يضربوا في الأرض ويسلكوا سُبُلًا شتّى لتحصيلها. وهو يتطلب جهدا مُضنيا لأنه طريق شائك مليء بالأهوال والمفاجآت، ولهذا هو " رمز لعلو الهمة وكبر النفس " (61) لأن " الاستكانة في المكان الواحد تعني الغنى الموروث الذي لا يحتاج إلى زيادة أو تعني الصغار والضعة " (62)

وهكذا تكون الغاية من السّفر تغيير أوضاع المُرتحلين إلى الأفضل، وهو في كلّ الحالات " طوبوغرافية جديدة يعيد من خلالها الرحالة صناعة معجم المكان بعلاقات جديدة، وأبعاد مختلفة " (63) وذلك عن طريق خلخلة قانون اللغة وتبديل المفهوم المرجعي للمكان ليصبح مكانا متخيلا يُسهّم في تأسيس بنية التنقل أو " سردية العبور يمثلها الانطلاق في رحلة فعلية

مادية أو متخيّلة ذهاباً وإياباً " (64) تسلك فيها الطعائن أماكن متعددة، سواء كانت أماكن طبوغرافية أو أعلام جغرافية وأراضي متنوعة.

قال طرفة بن العبد: (65)

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْرُومَهَا بِهَا *** كَمَا قَسَمَ الثُّرْبُ الْمُقَابِلُ بِالْيَدِ
خَذُولُ تُرَاعِي زُبْرًا بِخَمِيلَةٍ *** تَنَاولُ أَطْرَافَ الْبَيْرِ وَتَرْتَدِي (66)
وَتُبْسِمُ عَنِ أَلَى كَأَنَّ مُنَوَّرًا *** تَخْلُلُ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصِي لَهُ نَدِ (67)

الخطاب الشعري خطاب تخيلي بامتياز، وهذه العملية تتطلب استعمالاً خاصاً للدوال الشعرية، بغرض بناء مدلولات جديدة؛ حيث استحضر طرفة، بغية تصويره رحلة طعائنه، الدوال التي تحيل على البحر (الماء/السفينة/ الحيزوم...) عوضاً عن تلك التي تؤثر على بيئته الصحراوية. وقد قلب بذلك بنية خطابه اللغوي بهدف تفعيل الخصب/ الحياة في صحرائه، بعد أن حلّ بها الجذب على إثر رحيل خولة / الخذول/ الظبية.

وقال زهير بن أبي سلمى: (68)

جَعَلَنَ الْقَنَانُ عَن يَمِينٍ وَحَزَنَهُ *** وَكَمَ بِالْقَنَانِ مِن مُّحَلٍّ وَمُحَرِّمِ
وَوَرَّكَنَ فِي السُّوْبَانِ يَعْلوْنَ مَتْنَهُ *** عَلِمَنَّ ذُلُّ النَّاءِ عِـمَّ الْمُتَنَعِمِ
بَكَرْنَ بُكُورًا وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ *** فَهِنَّ وَوَادِي الرِّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ
فَلَمَّا وَرَدَنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَمَامُهُ *** وَضَعْنَ عِصْيَى الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ

حيث تتبع الشاعر المسار الذي سلكته الطعائن، والمسالك التي عبرتها، انطلاقاً من الأرض العالية المحاذية لماء جرثم والتي مثلت نقطة بداية الرحلة، وصولاً إلى نبع الماء الصافي، الذي انتهت إليه لتلقي فيه عصا الترحال. وقد حفظ لنا شعر المعلقة مشاهد عديدة "لحياة الظعن والترحال التي كانت تمثل حياة الغالبية العظمى من بدو الصحراء الذين كانوا في سفر دائم، متابعين مساقط الغيث ومنايع الماء ومواطن الرعي" (69)

وقال عنتره بن شداد: (70)

كَيْفَ الْمَزَارُ وَقَدْ تَرَجَّعَ أَهْلُهَا *** بِعُنَيْزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْغَيْلَمِ (71)
مَا رَاعَنِي إِلَّا حَمُولَةُ أَهْلِهَا *** وَسَطَ الدِّيَارِ تَسْفُ حَبَّ الْخِمْمِ (72)

لم يكن عنتره، وهو بصدد رصد المسار الذي سلكته عبلة، ليغيب الإشارة إلى طبقية مجتمعه وعنصريته، حيث اختارت وأهلها الحلول بعنيزتين (موض مرتفع من الأرض)، بينما بقي عنتره وأهله في المناطق المنخفضة (الغيلم)، ويشير التقاطع بين المرتفع/ المنخفض إلى تغلغل ظاهرة

التفاوت الطبقي والميز العنصري في المجتمع الجاهلي، وهذا ما يثبت أن الشعر في بعض أبعاده مرآة للذات الشاعرة.

وقال لبید بن ربیعہ: (73)

حُفِرَتْ وَزِيلَهَا السَّرَابُ كَأَنَّهَا *** أَجْزَاعُ بَيْشَةَ أَثْلَهَا وَرِضَامُهَا (74)
مُرِيَّةٌ حَلَّتْ بِقَيْدٍ وَجَاوَزَتْ *** أَهْلَ الْحِجَازِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا؟ (75)
بِمَشَارِقِ الْجَبَلَيْنِ أَمْ بِمُحَجَّرٍ *** فَتَضَمَّنَتْهَا فَرْدَةٌ فَرُخَامُهَا (76)
فَصَوَائِقُ إِنْ أَيْمَنْتَ فَمِظْنَةٌ *** مِنْهَا وَحَافُ الْقَهْرِ أَوْ طَلْحَامُهَا (77)

احتل الاشتغال على عنصر الفضاء؛ باعتباره يتجسد في مجموع الأمكنة المستحضرة إلى فضاء القصائد المعلقة، جزءا كبيرا من النصوص الشعرية. ويبدو أن المكان (عنيزتين/ الغيلم/ فيد/ الحجاز/ محجر/ فردة/ رخامها/ صوائق/ وحاف القهر/ طلخام) هو العنصر الأساس في بنية السفر بكل متعلقاتها، ويظهر من المقاطع أعلاه، أنه يمكن الجمع بين الشاعر وعالم الجغرافيا، وإذا كان الأخير يوظف اللغة في سياق الوصف، فإن الشاعر أيضا يتوسل باللغة مع اختلاف بسيط؛ يتمثل في أنه يستعملها بطريقة مخصوصة ليقدم من خلالها تضاريس المكان وأبعاده وامتداداته وتعالقاته مع غيره من الأمكنة التي تشكل الإطار الجغرافي للتجربة الشعرية.

فبالعودة لنصوص المدونة، نجد ذكرا لمواضع مختلفة وأمكنة متعددة، تحمل دلالات متنوعة، تنوع مقصديات الذوات الشاعرة، وهكذا يغدو المكان "مرصدا نطلّ منه على جغرافيته الروحية وأبعادها" (78) الاجتماعية والنفسية والثقافية والجمالية خاصة، وذلك بمراعاة خصوصيات المجتمع العربي الجاهلي، وقيم الشعرية الشفوية وتقاليدها التي تعارف عليها الشعراء، وأصبحت بفضل تكرارها على مرّ الزمن ظواهر فنية ونماذج يحتذى بها في التأسيس لبنية القصيدة العربية القديمة، وتمر الطعائن بعد مغادرتها محلّ إقامتها، لأسباب عديدة، بأماكن متنوعة، راسمة بذلك مسارها "وقد تتعمق أهميته أكثر حين تتوفر للأديب الأدوات الفنية والجمالية التي تمتلك إمكانية الانتقال من مستوى الوجود الطبوغرافي المائل في الواقع بتضاريسه ومعالمه، إلى مستوى الكينونة الفنية أين يصير جزءا من وجدان الشاعر، لأن المكان الطبوغرافي يزول بمجرد تخطّي الإنسان حدوده، في حين يحتفظ المكان في التجربة الإبداعية بلحمته" (79) ليصبح أيقونة تخلد ذكراه.

إن المكان على مستوى الواقع يتغير ويتلاشى ويتبدل بفعل عوادي الزمن، ونقله للمستوى المتخيّل هو ما يضمن خلوده؛ لأنه مكان مختلف، لا يبقى من صورته المرجعية في العمل الإبداعي سوى شذرات توهم بواقعيته ولكنها لا تستغرق النص كاملا، وبهذا يكون المكان في الشعر "الإطار الذي تتشاكل فيه/ داخله الصور والمواقف والأحداث وترتبط فعاليته بالتأويل

أكثر مما ترتبط بمدى مطابقة النظام العلاميّ المتواضع عليه لواقع حيّ وملموس". (80) تتمثل في تماهيه في كليّة النص والتفاعل مع غيره من العناصر البنائية، كونه عنصراً تشكيميا لا يقل أهمية عن غيره من مكونات القصيدة المعلقة بفضاءاتها المختلفة.

من هنا تكون للمكان دلالات عديدة، وهو "يَتَغَيَّرُ بِتَغْيَرِ اسْتِراتِيجِيَةِ الرِّحْلَةِ، وتتحول قيمته تبعاً لما يريده الرحالة من هذا المكان. فالمكان دينامي، يجدّد ذاته بتحول سياقات السّفر، بشكل يجعله عنصراً حيويّاً يتّخذ دلالاته من خلال ما يؤديه من أدوار ووظائف لدى الرحالة". (81) وهذا لا يعني أنه قدّم بنفس الطريقة في مجموع القصائد المعلقة، إنّما لكل شاعر حسّه الإبداعي الخلاق، بتأثير من محيطه السوسيو- ثقافي، وانطلاقاً من خصوصية تجربته الشعورية، وزاوية الرؤيا والحلم التي اعتمدها في تأطير تجربتها المتخيّلة، لأنّ "الأدب... كون آخر موازٍ للكون الإنساني ومكمّل له... لا تعيش حيواته ومفرداته وصوره وإيقاعاته مثلما يعيش الإنسان، بل تتغير مع حياة ومفردات وصور وإيقاعات الإنسان في كونها عالماً خيالياً من ورق، يتحلّى بقدر عالٍ من حرّية الحلم وسعته" (82).

و "توقفنا الرّحلة على فضاءات حُبلى بالدلالات تتمثل في حضور جدل الأرض والصّحراء كواجهة للمركب الزمكاني، وذلك حين يتمدد جسد/ فضاء الصحراء في مشهد مرئي يَعدّ بالتقويض والتشويش في أزمنة غير قياسية فتضطر ساكنها إلى البحث والحركة والانتقال في كل اتجاه" (83).

وأثناء تحملها عبر مجاهل فضاء الصحراء تسلك الطعائن دروباً متنوعة، رصدتها العين الشاعرة، التي تميزت بدقّة الملاحظة، ممّا مكنها من التعرّف على طبيعة أراضي شبه الجزيرة العربيّة: الرّمليّة، الحصويّة، المرتفعة، المنخفضة... الخ، حيث عمد الشعراء في مقطع الرّحلة إلى استحضار العديد من الأماكن أو "المصطلحات الجغرافيّة التي نجدها في النصّ" (84) ومن خلالها تفتتح رحلة الطعائن على صنفين من الأماكن: مسمّاة وغير مسمّاة، والخطاطة التالّية توضّح:

أنواع الأماكن:

أماكن غير مسماة

الرياض

المنازل

الأراضي بأنواعها

أماكن مسماة

أسماء المواضع

موارد الماء

أسماء الجبال

تشير الخطاطة إلى صنفين من الأماكن، يمكن شرحها كما يلي:

1- الأماكن المسماة:

أ- أسماء المواضع / الأعلام الجغرافية: وهي أماكن ذات صبغة اجتماعية " تمثل وشائج حقيقية تشد النص إلى الأشياء المرجعية." (85) و تتنزل في إطار ما يعرف بالإيهام بالواقعية؛ حيث يمثل بعضها موضعا لإقامة قبائل بعينها، ويرتبط بعضها الآخر بوقائع وأيام، ومنها: توضح، وجرة، مزة، الحجاز، صوائق، حاف القهر، طلخام، العقيق، شخصين، عنيزتين، الغيلم...

ب- الوديان والعيون: كونها موارد حيوية ضرورية في حياة الناس، مرتبطة بمواضع تواجد القبائل، قريبة من أماكن السكن، أو أنها متواجدة بالمناطق التي يتم الارتحال إليها، ومنها: دد، جرثم، السوبان، وادي الرّس، بيشة، فيد.

ج- الجبال والكتبان والهضاب/ الأماكن المرتفعة:

* الجبال: القنان، أجأ، سلمى، المحجر، فردة، خزازی.

* الكتبان: خميلة، حرّ الرّمل، دعص.

* الهضاب: العليا، السّوبان، عنيزتين، الغيلم، العليا.

قال عنتر بن شدّاد: (86)

كَيْفَ الْمَزَاوُ قَدْ تَرَعَّعَ أَهْلُهَا *** بِعُنَيْزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْغَيْلِمِ

و" على مثل هذه (الأشياء- الأماكن) المرجعية الصّرف معتمد الرواة في إنشاء أحلافهم السردية الوهمية، فلئن بدا التدقيق في الوصف أو عرض بعض القرائن المرجعية محلّ نظر... فإن... الأنهار

والجبال علامات جليّة الحضور ليس في الإمكان التشكيك في أمرها "(87)؛ كونها بمثابة الأعلام التي يهتدي بها الجاهليّ في فضاء الصّحراء.

2- الأماكن غير المسماة:

وهي أماكن العبور المتناثرة في فضاء الصحراء، البعيدة، عادة، عن مراكز تجمع القبائل، ومن أمثلتها: الملبى، والمنزل، وسط الديار، الروضة، الحزن.

قال زهير بن أبي سلمى: (88)

وَفِيمَنْ مَلَى لِلطَّيْفِ وَمَنْظَرٌ *** أُنِيقُ لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ.

قال عنتر بن شداد:

مَا رَاعَنِي إِلَّا حَمُولَةُ أَهْلِهَا *** وَسَطَ الدِّيَارِ تَسْفُ حَبَّ الْخِمِمْ.

وقال: (89)

أَوْ رَوْضَةً أَنْفًا تَضَمَّنَ نَبْتَهَا *** غَيْثٌ قَلِيلُ الدِّمَنِ لَيْسَ بِمَعْلَمٍ (90)

وقال الأعشى ميمون: (91)

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ *** خَضْرَاءُ، جَادَ عَلَمًا مُسِيلٌ هَطِلٌ (92)

3- تعدّد الأسماء المُسمّى واحد:

كما لاحظنا بالإضافة إلى تكرار بعض الأساليب من قبيل: يقولون لا تهلك أسي وتجل/ امرؤ القيس، يقولون لا تهلك أسي وتجلد/ طرفة، تكرار ذكر بعض المواضع، مثل: القنان، وكذلك السّويان؛ الذي يرد مرّة للدلالة على اسم ماء، ومرّة بمعنى الأرض المرتفعة. مما يصعب مهمة الباحث التصنيفية. ولكنّه في الوقت نفسه يؤكد شفوية القصيدة المعلقة، وصحة نسبتها إلى عصرها، ويدحض زعم أولئك المشككين في انتمائها إلى العصر الذي كُتبت فيه؛ ذلك أن المشتشرق جيمز مونرو (93) اعتبر ظاهرة التكرار للأسماء والصيغ والأساليب في الشعر الجاهلي، حجةً بيّنة على انتمائه للعصر الجاهلي.

شعريّة المكان بين الرحلة والطلل:

ذكرنا فيما سبق أنّ الرحلة تحيلنا على فضاءات عديدة أولّها فضاء الطلل، ومن الطريف أنّ مشهد الموت والخراب، وصورة الاندثار والعفاء، وصمت الأطلال وغياب المعالم، صورة السكون والموت الذي حلّ بالمكان يكون هو نفسه الرحم الذي يولد منه الشعر، وتندسج بواسطته

القصيدة، فكأن تلك الصورة السلبية/ صورة فضاء الطلل تشكل حافزا يدفع الشاعر الجاهلي إلى القول، بهدف التغلب على مظاهر العفاء التي خلفتها القوى الطبيعية، وعلى قوة الزمن الخارقة التي أرسلت يدها في المكان، تصنع فيه ما تشاء. وكأن الشاعر يريد أن يطرد الموت بعيدا، يتمرد عليه، وأن يبعث أسباب الحياة والحيوية والإيجابية في المكان الذي يعتبر نسقا علاميا يحفظ ذاكرته الثقافية، حينما يمنح لهذا الفضاء شكلا خاصا

في مطلع القصيدة يؤرخ من خلاله لقضية وجودية ومسألة متعلّقة بالهوية يُلخصها قول امريء القيس:

عُوجًا عَلَى الطَّلَلِ المحيل لَعَلَّنَا *** نَبْكِي الدِّيَّارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حَذَامٍ (94)

الخاتمة:

في الختام توصّل البحث إلى جملة النتائج التالية:

- 1- المقطع الرّحلي حاضر بقوة في نصوص المعلقات العشر.
- 2- الرّحلة في الحياة نمط معيشي، فرضته حياة التّبديّ على سكان شبه الجزيرة العربية، وقد انتقل هذا النسق الحياتي إلى الشّعر، وغدا جزءا أساسا من تركيبته.
- 3- يقوم المشهد الرّحلي على الحركة؛ بانتقال الطّغائن من مكان إلى آخر، وبذلك يحضر المكان بصفته أهم عنصر تشكيلي في بنية النصّ الرّحلي.
- 4- يرتبط المكان بالذات الشاعرة ارتباطا وثيقا؛ حيث يرد متلبسا بدلالات نفسيّة واجتماعيّة.
- 5- حضور المكان في الشعر، بصفة عامة، كان منطلقا للعلماء في وضع كثير من الرسائل؛ مثل معجم البلدان لياقوت الحموي والأزمنة والأمكنة للمرزوقي.
- 6- تختلف الأماكن التي تمرّ بها الطّغائن في خط سيرها؛ وهذا يدلّ على التنوع الجغرافي، من جهة، وعلى دقّة الملاحظة التي تميّزها العربيّ؛ بحيث لم تترك عينه صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها، من جهة ثانية.
- وعموما، يبقى النصّ الرّحلي؛ مجالا من مجالات بحثيّة عديدة يمكن الولوج منها للحفر في تربة المعلقات العشر الخصبة، لمساءلة مضامينها، واستكناه أسرارها، وكشف المتواري منها.
- 7- يمكن أن تشكّل هذه الدراسة أرضيّة ينطلق منها الدّارسون بغرض التوسّع في موضوعة الرّحلة، وتناولها في مستويات أخرى كالجانب الانثروبولوجيّ، مثلا، ويمكن أن يسوق هذا إلى نتائج طيّبة.

وقد يتناولها آخر بالدراسة في إطار تداخل الأجناس، التي تحتل حيّزا وسعا في الخطاب النقدي الحديث، حيث تعرضت الأنواع الأدبية إلى خلخلة في بنيتها، فيجعل الدارس من تضاف السرد والشعر وحدوث التراسل بين خصائص السرد وخصائص الشعر على صعيد المقاطع الرحلية في المعلقات العشر.

الهوامش والإحالات:

- 1 - غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1984، بيروت، لبنان، ص36.
- 2 - سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، ط1، 1993، بيروت، لبنان، ص20.
- 3 - يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، الشعر الجاهلي نموذجا، وزارة الثقافة، ط1، 2004، عمان، الأردن، ص142.
- 4 - المرجع نفسه، ص154.
- 5 - سعدية بن ستيقي، الفضاء المتخيل بين ثنائية الدخول والخرج (جدلية الداخل والخارج)، الملتقى الوطني حول الفضاء المتخيل في الرحلات الجزائرية في العصر الحديث، 10-11 ديسمبر 2013، جامعة المسيلة، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي بمساهمة ديوان المطبوعات الجامعية، 2014، ص151.

- 6- سورة قريش، الأيتان: 1-2.
- 7- سورة الملك، الآية: 15.
- 8- سورة يوسف، الآية: 109.
- 9- فاطمة صغير، آليات الكتابة الرحلية عند أبي القاسم سعد الله، الرحلة المغربية نموذجاً، الملتقى الوطني حول الفضاء المتخيل في الرحلات الجزائرية في العصر الحديث، 10-11 ديسمبر 2013، جامعة المسيلة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي بمساهمة ديوان المطبوعات الجامعية، 2014، ص 122.
- 10- ابن منظور، لسان العرب المحيط، قدم له: عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دراسات لسان العرب، دط، دت، بيروت، لبنان، مادة (رح ل).
- 11- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج1، دار العودة، ط 1989، بيروت، لبنان، مادة (رح ل)
- 12- صلاح عيد، الرحيل في تاريخ الشعر العربي، مكتبة زهراء الشرق، دط، دت
- 13- سعدي ظناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص 150، ص 3.
- 14- حفيظة رواينية، مقاربة فضاء الرحلة في النص الشعري العربي القديم، مجلة التواصل في اللغات والثقافة والأدب، العدد الثالث والثلاثون، مارس 2013، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار عنابة، ص 30.
- 15- بوقرومة حكيم، بوقرومة زاهية، صورة المكان في الرحلة الجزائرية الحديثة، الملتقى الوطني حول الفضاء المتخيل في الرحلات الجزائرية في العصر الحديث، 10-11 ديسمبر 2013، جامعة المسيلة، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي بمساهمة ديوان المطبوعات الجامعية، 2014، ص 122.
- 16- مصطفى منصوري، الماء في الشعر الجاهلي، مقاربة أنثروبولوجية سيميائية، درجة الماجستير، جامعة وهران، 1999-2000، ص 55.
- 17- بوقرومة حكيم، بوقرومة زاهية، صورة المكان في الرحلة الجزائرية الحديثة، ص 159.
- 18- سعدي ظناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص 140.
- 19- المرجع نفسه، ص 195.
- 20- حفيظة رواينية، مقاربة فضاء الرحلة في النص الشعري العربي القديم، ص 28.
- 21- المرجع نفسه، ص ص 28-29.
- 22- حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001، دمشق، ص 17.
- 23- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي- التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل- رؤية للنشر والتوزيع، 2006، ص 52.
- 24- عماد صولة، المتخيل بين الائتلاف والاختلاف، ص 14، نقلا عن: منير مهادي، المتخيل والهوية.
- 25- حفيظة رواينية، مقاربة فضاء الرحلة في النص الشعري العربي القديم، ص 24، مقدمة.
- 26- المرجع نفسه، ص 27.
- 27- المرجع نفسه، ص 27.
- 28- وهب رومية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1979، بيروت، لبنان، ص ص 21-22.
- 29- امرؤ القيس، الديوان، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط 2، 2004، بيروت، لبنان، ص 24.
- 30- المصدر نفسه، ص 23.
- 31- طرفة بن العبد، الديوان، شرح الأعلام الشنتمري، وتليه طائفة من الشعر المنسوب إلى طرفة، تحقيق: دية الخطيب، لطفي الصقال، إدارة الثقافة والفنون، المؤسسة العربية، ط 2000، 2، البحرين، بيروت، لبنان، ص 23.

- 32- الزوزني، شرح المعلقة السبع، اعتنى به وعلق عليه: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة، ناشرون، ط1، 2004، ص 207.
- 33- سعدي ظناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص 209.
- 34- المرجع نفسه، ص 209.
- 35- صلاح عيد، الزحيل في تاريخ الشعر العربي، ص 7.
- * الرئيس: الشخص الذي يخرج قبل القافلة، ينظر أحوال الطريق... (أورد هذا المصطلح: سعدي ظناوي في كتابه: أثر الصحراء في الشعر الجاهلي).
- 36- وهب رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، مجلة عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الأعلى للثقافة والفنون، العدد 207، سؤال 1416، مارس، آذار، ص 271.
- 37- حفيظة رواينية، مقارنة فضاء الرحلة في النص الشعري العربي القديم، ص 30.
- 38- صلاح عيد، الزحيل في تاريخ الشعر العربي، ص 3.
- 39- طرفة بن العبد، الديوان، ص 24.
- 40- زهير بن أبي سلمى، الديوان، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 2005، بيروت، لبنان، ص 65.
- 41- أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقة العشر، مع مقدمة التاريخ ومكانة أصحاب المعلقة، منشورا، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، 1983، بيروت، لبنان، ص 164.
- 42- التكنس: دخول الكناس والاستكنان به - القطن: جمع قطين وهو الجماعة، والقطن واحد - الصبرير: صوت الباب والرحل وغير ذلك.
- 43- أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقة العشر، ص 235.
- 44- الزائر: الأعداء، جعلهم يزأرون زئير الأسد، شبه توعدهم وتهدهم بزئير الأسد.
- 45- عمرو بن كلثوم، الديوان، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط2، 1996، بيروت.
- * ياطعينا: منادى مرثم، والظعينة: المرأة في اليهودج، سميت بذلك لظعنها مع زوجها، ثم كثر استعمال هذا الاسم للمرأة، حتى قيل للمرأة في بيت زوجها ظعينة.
- 46- وهب رومية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، ص 20.
- 47- منير مهادي، المتخيل والهوية (مسألة نقدية)، الملتقى الوطني حول الفضاء المتخيل في الرحلات الجزائرية في العصر الحديث، 10-11 ديسمبر 2013، جامعة المسيلة، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي بمساهمة ديوان المطبوعات الجامعية، 2014، ص 122.
- 48- حفيظة رواينية، مقارنة فضاء الرحلة في النص الشعري العربي القديم، ص 30-31.
- 49- صلاح عيد، الزحيل في تاريخ الشعر العربي، ص 3.
- 50- منير مهادي، المتخيل والهوية (مسألة نقدية)، ص 45.
- 51- محمد لطفي اليوسفي، لحظة المكاشفة الشعرية، إطلالة على مدار الربيع، سيراس للنشر، 1997، تونس، ص 9.
- 52- عبد الباسط الكراري، دينامية الخيال، مفاهيم الآليات الاشتغال، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط1، 2004، الرباط، نقلا عن: حفيظة رواينية، مقارنة فضاء الرحلة في النص الشعري العربي، ص 30.
- 55- أحلام عثمانية، مليكة حيمر، البناء الفني للرحلة الجزائرية الحديثة، رحلتي إلى المغرب لأبي القاسم سعد الله نموذجا، الملتقى الوطني حول الفضاء المتخيل في الرحلات الجزائرية في العصر الحديث، 10-11 ديسمبر 2013، جامعة جيجل، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، ص 99.

- 56- نورة قطوش، جدلية الانا والآخر في الرحلة الجزائرية الحديثة، الملتقى الوطني حول الفضاء المتخيل في الرحلات الجزائرية في العصر الحديث، 10-11 ديسمبر 2013، جامعة المسيلة، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي بمساهمة ديوان المطبوعات الجامعية، 2014، ص 61.
- 57- علي أحمد سعيد أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، ط 3، 1979، بيروت، لبنان، ص 26.
- 58- المرجع نفسه، ص 11.
- 60- الحصري، أبو إسحاق القيرواني، زهر الآداب وتمر الألباب، تحقيق: علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، 1970، القاهرة، مصر، ص 384.
- 61- حفيظة رواينية، مقاربة فضاء الرحلة في النص الشعري العربي القديم، ص 29.
- 62- سعدي طنناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص 195.
- 63- عمار لعويجي، الفضاء التفاعلي، الملتقى الوطني حول الفضاء المتخيل في الرحلات الجزائرية في العصر الحديث، 10-11 ديسمبر 2013، جامعة سطيف، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، ص 179.
- 64- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي- التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل- ص 230.
- 65- طرفة بن العبد، الديوان، ص ص 25-26.
- 66- خذول: خذلت صواحبها- تراعي ربيا: تراقبه وتنتظر إليه- الخميطة: أرض سهلة ذات شجر.
- 67- تبسم عن ألى: تضحك عن ثغر ألى اللثات، أي أسمر اللثات- المنور: الأقحوان- حرّ الرمل: أكرمه وأحسنه ألوانا- الدعص: الكثيب من الرمل- الندي: الذي في أسفله الماء.
- 68- زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص ص 65-66.
- 69- بدوي طبانة، معلقة العرب، دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي، وزارة الثقافة، 2007، الجزائر، ص 236.
- 70- أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقة العشر، ص ص 236-237.
- 71- المزار: مصدر كالزيارة - الترع: الإقامة من الربيع.
- 72- راعه روعا: أفرغه - الحمولة: الإبل التي تطيق أن يحمل عليها - وسط بتسكين السين: اسم لما بين طرفي الشيء - الخمخم: نبت تعلقه الإبل .
- 73- أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقة العشر، ص ص 165-167.
- 74- الحفز: الدفع - الأجراع: جمع جزع وهو منعطف الوادي - بيشة: واد بعينه - الأثل: شجريشبه الطرفاء، إلا أنه أعظم - الرضام: الحجارة العظام.
- 75- مربة: منسوبة إلى مرة - قيد: بلدة معروفة.
- 76- الجبلين: عنى بالجبلين، جبلي طيء: أجأ وسلوى - المحجر: جبل آخر- فردة: جبل منفرد عن سائر الجبال سعي بها لانفراده عن الجبال - رخام: أرض متصلة بفردة لذلك أضافها إليه.
- 77- أيمن الرجل: إذا أتى اليمين - مظنة الشيء: حيث يظن كونه فيه - صوائق: موضع معروف - وحاف القهر: موضع معروف - طلخام: موضع معروف أيضا.
- 78- علي أحمد سعيد أدونيس، مقدمة للشعر العربي، ص 13.
- 79- فوغالي باديس يوسف، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، جدار للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، 2008، عمان، إربد، الأردن، ص 182.
- 80- حفيظة رواينية، مقاربة فضاء الرحلة في النص الشعري العربي القديم، ص 27.
- 81- إبراهيم الحجري، شعرية الفضاء في الرحلة الأندلسية، نموذج القلصادي، تقديم، غسان غنيم، دار النايا، دار المحاكاة للنشر والتوزيع، ط 2012، سوريا، دمشق، ص 176.

- 82- شادن جميل، فضاء الرؤيا ورمزية الحلم، الملامح الصوفية في ديوان (أسفار الشجر)، كلية اللغات، جامعة صلاح الدين، ضمن كتاب: فضاء الكون الشعري من التشكيل إلى التدليل، مستويات التجربة الشعرية عند محمد مردان، إعداد وتقديم ومشاركة: محمد صابر عبيد، دارينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دط، 2010، سوريا، ص19.
- 83- حفيظة رواينية، مقارنة فضاء الرحلة في النص الشعري العربي القديم، ص24، مقدمة
- 84- بوراس سليمان، بنية اللغة السردية في أدب الرحلة عند أبي سعد الله، الأشكال والدلالات، الملتقى الوطني حول الفضاء المتخيل في الرحلات الجزائرية في العصر الحديث، 10-11 ديسمبر 2013، جامعة المسيلة، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي بمساهمة ديوان المطبوعات الجامعية، 2014، ص112.
- 85- صلاح الدين بوجاه، الشيء بين الوظيفة والرمز، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1993، بيروت، لبنان، ص118.
- 86- أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقة العشر، ص236.
- 87- صلاح الدين بوجاه، الشيء بين الوظيفة والرمز، ص120.
- 88- زهير بن أبي سلى، الديوان، ص66.
- 89- أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقة العشر، ص238.
- 90- روضة أنف: لم تزرع بعد - اليم: جمع دمنة وهي السرجين.
- 91- أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقة العشر، ص315.
- 92- الحزن: الأرض الغليظة - جاد عليها: أمطرها - مسبل: المطر السائل - هطل: هطل: هاطل يروي أرضها.
- 93- يُنظر كتاب: جيمز مونرو، النظم الشفوي في الشعر الجاهلي، ترجمة: فضل بن عمار العماري، منشورات دارالأصالة للثقافة والنشر والإعلام، ط1، 1987، الرياض، ص77 وما بعدها.
- 94- مختار الشعر الجاهلي، مصطفى البابي الحلبي، ج1، ط4، 1971، مصر، ص18.